جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٦)، ع (١)، ص ص ١١٧-١٣٨، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٣م/ ١٤٤٥هـ)
Journal of Arts, Vol. 36 (1), pp 117-138, © King Saud University, Riyadh (2023 /1445H)

حقيقة حصار المسلمين للقسطنطينيّة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م

منصف مباركية

دكتوراه في التاريخ الإسلامي، وزارة التربية والتعليم، الجزائر.

(قدم للنشر في ٢١/ ٢/ ١٤٤٥هـ، وقبل للنشر في ١/ ٥/ ١٤٤٥هـ)

الكلمات المفتاحية: القسطنطينيّة، خلقدونيّة، يزيد بن معاوية، المسلمون، الروم.

ملخص البحث: إنّ فرضيّة استهداف المسلمين للقسطنطينيّة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م تعتبر من المواضيع الجدليّة التي لم تلق إجماعًا بين الدارسين، حيث يَعتبرُ البعض هذا الحدثَ أوّلَ محاولة جديّة قام بها المسلمون لفتح العاصمة البيزنطيّة، استنادًا إلى روايات تاريخيّة يظهر عليها الاضطراب وعدم الدقة، وتَنسبُ فضلَ هذا السبق ليزيد بن معاوية، وبعض كبار الصحابة مثل أبي أيوب الأنصاري، لكنّ تدقيق أخبار هذه الروايات وتمحيصها ومقارنتها بما جاءت به المصادر البيزنطيّة والسريانيّة، وإعادة التركيب والبناء الموضوعي للأحداث التي واكبت هذه المحاولة المفترضة؛ من خلال تتبع مجريات نشاط المسلمين في بلاد الروم في سنتي ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٩-٦٧٠م، يصل بنا إلى نتيجة مقنعة بأنّ الحملة المفترضة على القسطنطينيّة لم تصل أبدًا إلى العاصمة البيزنطيّة ولم تفرض عليها الحصار، وإنما بلغت خلقدونيّة في البر الأسيوي المقابل للعاصمة عبر المضيق الفاصل بينهما، وبالتالي لم تكن هذه المحاولة الأولى لفتحها، وأنّ يزيد بن معاوية وأبا أيوب الأنصاري اشتركا فعلًا في حصار القسطنطينيّة كما تذهب إليه المصادر ولكن ليس سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م كما تؤرخها، وإنما لاحقًا سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م مع بداية حصار السبع سنوات الذي استهدف العاصمة البيزنطيّة.

The Reality of the Siege of Constantinople by Muslims in 670AD/50AH

Moncef Mebarkia
Doctorate in Islamic History, Ministry of Education, Algeria.
(Received: 21/ 2/1445 H, Accepted for publication 1/ 5/1445 H)

Keywords: Constantinople, Chalcedon, Yazid ibn Mu'awiya, Muslims, Rûm (Byzantines).
Abstract. The hypothesis of Constantinople siege by Muslims in 50AH/670AD is one of the controversial topics that obtained no consensus among scholars, of whom some consider this event as the first serious endeavor by Muslims to conquest the Byzantine capital, which is according to traditional Arabic narrations that, in fact, exhibit confusion and imprecision, attribute this precedence to Yazid ibn Mu'awiya and some major Companions of the Prophet (aṣ-ṣaḥāba), such as Abu Ayyub Al-Ansari. However, scrutinizing these narrations and comparing them with what was narrated in Byzantine and Syriac sources, with the objective restructuring of the events currenting this supposed attempt by tracking the course of Muslim activity in Asia Minor (mainly, Anatolia) in the years 49-50 AH/669-670 AD, both led to a convincing conclusion that the supposed campaign of Constantinople did not reach the city nor did it impose a siege on it; rather it reached Chalcedon opposite to the Capital on the Asian mainland; and consequently, this was not the first attempt to conquest it. In addition, Yazid ibn Mu'awiya and Abu Ayyub Al-Ansari indeed participated in the siege of Constantinople, as the sources mentioned, not in 670AD/50AH, but later in 675AD/55AH with the beginning of the seven-year siege that targeted the Byzantine capital.

مقدمة:

إنّ كلَّ من يهتمُ بدراسة العلاقات الأموية البيزنطيّة، وما طبعها من صدامات ومواجهات لا تكاد تنتهي، يمكن أن يلاحظ بشكل واضح الحضور القوي لموضوع محاولات المسلمين فتح القسطنطينيّة، عاصمة إمبراطورية الروم، وهذا الهدف في الحقيقة كان يحظى باهتمام كبير وخاص، حتى من طرف بعض الخلفاء الأمويين أنفسهم، لهذا تمّ تجهيز وإطلاق أكثر من حملة للسيطرة على العاصمة البيزنطيّة خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري، والكتابات التاريخية تختلف في تحديد عدد المرات التي حاول فيها المسلمون خلال العهد الأموي إنجاز هذه المهمة، وأيضا حول تاريخ أوّل محاولة تمّ تنفيذها في هذا الشأن، ففي حين يرى الكثير من الدراسين أنّ الحملة التي شارك فيها يزيد بن معاوية سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م كانت أوّل محاولة إسلامية جدّية سجلتها المصادر لفتح القسطنطينيّة، يعتقد آخرون أنّ حصار السبع سنوات بين ٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٤-٦٨٠م هو التحرك الأول الذي قام به المسلمون لاستهداف العاصمة البيزنطيّة. والاشكالية التي يدور حولها هذا الموضوع تتعلق بحقيقة الحملة المفترضة على القسطنطينيّة بين ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٩-٦٧٠م؟ وهل كانت تمثل حقا أوّل محاولة لفتح المدينة في عهد بني أمية كما تذهب إليه بعض المصادر والكتابات التاريخية الحديثة؟

ويصبو هذا العمل إلى إزالة اللبس عن هذا الحدث التاريخي، ومحاولة الفصل في الجدل القائم حول حقيقة استهداف المسلمين للقسطنطينيّة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، خاصة أنّ الكثير من الدراسات الحديثة ما زالت تختلف حول هذه المسألة، وذلك من خلال إبراز الأوضاع التي كانت تمرّ بها كلٌّ من الدولة الأموية والإمبراطوريّة البيزنطيّة في تلك المرحلة، واستعراض ظروف وتفاصيل مجريات التحركات العسكرية التي قام بها المسلمون على الساحة البيزنطيّة بين ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٩-٦٧٠م، مع نقد ما جاءت به دراسات المعاصرين وإعادة قراءة وتحليل الروايات التاريخية المتصلة بها، لرسم تصور موضوعي عن حقيقة ما حدث خلالها.

ومن أجل معالجة الإشكالية المطروحة والوصول للأهداف المرجوة تمّ جمع المادة التاريخية ذات الصلة بالموضوع من مختلف المصادر المتوفرة في الفضاءين الإسلامي والمسيحي (البيزنطي-السرياني) من أجل تحقيق رؤية شاملة ومتوازنة للحدث، ومن ثمّ العمل على تحليل هذه الروايات ومقاربتها، ومحاولة التوفيق بينها حتى نصل إلى إخراج دراسة موضوعية متكاملة.

المبحث الأول: الأوضاع في الدولتين الأموية والبيزنطيّة قبيل حملة سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م.

(أ) الأوضاع في الدولة الأموية:

عرفت الدولة الإسلامية قبل هذا الحدث بسنوات قليلة فقط استرجاع وحدتها السياسية من جديد بعد انتهاء فترة الحروب الداخلية والانقسام الذي أعقب اغتيال الخليفة عثمان ابن عفان [1] سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م (خليفة، ١٩٨٥، ص١٧٦)، حيث استطاع والي الشام ومؤسس الدولة الأموية

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية: (ثالث الخلفاء الراشدين) أسلم في بداية الدعوة وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة لاحقًا ملازمًا للرسول صلى الله عليه وسلم، بُويع بالخلافة سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤م بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٣، ص ٥١-٥٢-٥٣-٦٠)، فتحت في عهده العديد من البلدان في الشرق والغرب مثل همذان والري وسابور وإفريقيا وأذربيجان وقبرص وجرجان وخراسان وسجستان وطبرستان بين ٢٤-٣٠هـ/ ٦٤٥-٦٥٠م (خليفة، ١٩٨٥، ص ١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦٣-١٦٥). سخط عليه الناس أواخر خلافته وعابوا عليه بعض الأمور في سياسته الإدارية والمالية خاصة، فأظهروا معارضتهم له، وتفاقم الوضع حتى حاصره ناس من أهل الأمصار في المدينة ثم قتلوه في داره أواخر سنة ٣٥هـ /٦٥٦م. (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٦، ص ٢٠٨-٢٠٩-٢١٠-٢١٢).

-معاوية بن أبي سفيان [٢]- أن يحسم الصراع على السلطة وينفرد بقيادة الأمة بعد وفاة منافسه علي بن أبي طالب [٣]، والوصول إلى تسوية سياسية مع ابنه الحسن بن علي [٤] سنة ٤١هـ/ ٦٦١م (خليفة، ١٩٨٥، ص ٢٠٣)، ومع استفادته من عودة الاستقرار وتوحّد الجبهة الداخلية، أصبح في مقدور الخليفة الأموي تجنيد طاقات الأمة، وتوجيه تركيزها إلى حركة الفتوح المتعطلة والقضايا الإقليمية من جديد، وقد عبر معاوية عن هذا التوجه مباشرة بعد صلحه مع الحسن بن علي ومبايعته بالخلافة، حين أعلن أنّ المسلمين لا يصلح بهم إلّا أن يأتوا العدو في بلاده، وإلّا أتاهم هو (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٣، ص ٢٨٩) ويمكن أن نتصوّر هنا أنّ معاوية، وهو يعلن عن هذه الرؤية في التعامل مع التهديدات الخارجية، كان يضع الروم على رأس أولوياته لعدّة اعتبارات سياسية وعسكرية وخاصة جغرافية، حيث كان الروم يمثّلون الخصم الرئيس للمسلمين حينها، ويتشاركون معهم حدودًا طويلة، كما أنّ الشام التّي تضمُّ حاضرة الدولة الأموية (دمشق [٥]) كانت في اتّصال مباشر مع أراضي الإمبراطوريّة، وبالتّالي ضمن نطاق التهديد البيزنطي وعمليّاتهم العسكرية برًّا وبحرًا، ثمّ إنّ هذه الرؤية التّي كان يحملها معاوية حول مركزية الصراع مع الروم والقناعة المترسّخة لديه في ذلك (خليفة، ١٩٨٥، ص ٢٣٠) كانت نابعة أساسًا من تجربته الطويلة في التعامل مع البيزنطيين خلال ولايته الشام، وأيضًا من الأحداث التّي واكبت الفتنة الكبرى حين رأى كيف استغلّ الروم فترة ركود حملات الغزو السنوية، بسبب الضعف والانقسام الذي مرّت به الأمة الإسلامية نتيجة الاقتتال الداخلي، لعكس الضّغط على المسلمين وتهديد بلاد الشام حتّى اضطرّ معها إلى أن يصالحهم على مال يدفعه لهم مقابل السلام (Theophanes, 1997, p 496; Nikephoros,

(٢) معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أسلم عند فتح مكة سنة ٨هـ / ٦٣٠م أو قبلها بقليل، تقلد ولاية الشام منذ عهد عمر بن الخطاب، وبويع بالخلافة سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م بعد صراع مع علي بن أبي طالب (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٦، ص ١٥-١٦-٢٤-٢٦)، كان حليمًا يتجاوز عن الإساءة، حسن التدبير والسياسة (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٥، ص ٢٨-٩٢-٩٣) أعاد إطلاق حركة الفتوح واستئناف الصراع مع الروم، وتم فتح العديد من البلدان في خلافته مثل كابل، وإفريقيا، وأطراف بخارى، ووصل المسلمون بحملاتهم إلى سمرقند. توفي بدمشق منتصف سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م. (خليفة، ١٩٩٥، ص ٢٠٦-٢٠٧-٢١٠-٢٢٢-٢٢٤-٢٢٩).

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب: (رابع الخلفاء الراشدين) من أوائل الذين أسلموا وكان صبيًا ذا تسع سنوات، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم موقعة بدر وكان صاحب لوائه، وشارك في كل المواقع، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان سنة ٣٥هـ / ٦٥٦م فنازعه معاوية الأمر حتى قتل على يد أحد الخوارج بالكوفة سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م. (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٣، ص ١٧-١٩-٢١-٢٩-٣٦)

(٤) الحسن بن علي بن أبي طالب: حفيد النبي (ص) من ابنته فاطمة، وكان محببًا إليه، ولد أواخر سنة ٣هـ/ ٦٢٥م (ابن سعد، ج ٦، ص ٣٥٢-٣٦٠) كان حليمًا سخيًّا، بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م، لكن تخاذل أهل العراق، وتخلي أكثر وجوههم عنه وميلهم لمعاوية، دفعه لمصالحته سنة ٤١هـ/ ٦٦١م وإنهاء الاقتتال بين المسلمين على شروط كانت بينهما (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٣، ص ٢٦٧-٢٧٩-٢٨٤-٢٨٦-٢٩٥)، توفي مسموما سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م حسب العديد من الروايات، ودفن بالبقيع في المدينة (ابن سعد، ج ٦، ص ٣٨٦-٣٨٧-٦٩٣).

(٥) دمشق: أهم مدن الشام وأكبرها تقع في سهل يحيط به الجبال (ابن حوقل، ص ١٦٠)، تتميز بكثرة أنهارها وعمارتها، وفيها المسجد الأموي الذي بناه الوليد بن عبد الملك في خلافته وكان يعدُّ أحسن وأجمل المساجد في أرض الإسلام في وقته (اليعقوبي، ٢٠٠٢، ص ١٦٣-١٦٤)، وكانت تعرف من مبلغ جمالها ورخائها بجنة الأرض، وقد أكثر الشعراء في وصفها ومدحها (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ٢، ص ٤٦٣-٤٦٧)، فتحت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م (خليفة، ١٩٨٥، ص ١٢٥).

1990, p 87)، وكان ذلك سابقة في تاريخ العلاقات بين الطرفين، حيث لم يسبق أن دفع المسلمون أو أيّ خليفة من قبل إلاتاوة إلى الروم.

على هذا الأساس أعاد معاوية، بعد توليه الخلافة مباشرة، بعثَ الصراع مع الروم من خلال إعادة إحياء تقليد الحملات الموسمية السنوية التي كان معمولًا بها منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب [٦]، وتُعرف بالصوائف والشواتي [٧] بعد انقطاع وتوقّف تام لنشاطها دام حوالي ثماني سنوات كاملة [٨]، وقد عرفت هذه الحملات منذ إعادة اطلاقها سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م [٩] (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ١٧٢) إلى غاية الحملة المفترضة على القسطنطينيّة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م حيوية وانتعاشًا كبيرين، حيث تمّ استهداف مناطق متفرقة من أسيا الصغرى دون أن تستطيع المصادر تحديدها بدقة للأسف، وقد استطاعت هذه الحملات الموسمية أن تحقق إنجازات معتبرة وتلحق أضرارًا بالغة بالبيزنطيين عسكريًّا واقتصاديًّا وحتى معنويًّا، واستمر بعضها مقيمًا في بلاد الروم أشهرًا عديدة مستغرقة فصلي الصيف والشتاء كما حدث سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م (Agapius, 1909, Partie 2, p 228; Elie, 1910, p 88) والسنوات التي بعدها (خليفة، ١٩٨٥، ص ٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩)، وهو ما مثّل سابقة في تاريخ هذه الحملات من حيث الامتداد الزمني الطويل نسبيًّا لنشاطها داخل بلاد الروم، ما يعتبر تحوّلًا مهمًّا في نمطها مقارنة بالفترة السابقة خلال العهد الراشدي.

وبرز في قيادة الحملات خلال هذه الفترة كل من: بُسر ابن أبي أرطأة [١٠](الطبري، ١٩٦٩، ج٥، ص ١٨١)، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد [١١] (خليفة، ١٩٨٥، ص ٢٠٧؛

(٦) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى: (ثاني الخلفاء الراشدين) أسلم في السنة السادسة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد معه الغزوات كلها وكان له بلاء مشهود في نصرة الإسلام. بويع بالخلافة سنة ١٣هـ / ٦٣٤م وكان عادلا صارما وله آثار مشهودة في إدارة الدولة والفتوح. مات مقتولًا أواخر سنة ٢٣هـ / ٦٤٤م على يد أبو لؤلؤة عبد من سبي نهاوند. (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٣، ص ٢٤٥-٢٥٠-٢٥٣-٢٥٤-٢٦٢-٢٦٣-٣٢٢-٣٣٨)

(٧) حملات موسمية تنفذها قوات إسلامية داخل بلاد الروم بشكل دوري في فصلي الصيف والشتاء، تبدأ حملات الصوائف نشاطها مع اعتدال المناخ بين شهري أيّار (ماي) وتمّوز (جويلية) مستغلة الظروف المساعدة من الجو الملائم ووفرة المراعي والتحضير الجيد، أما الشواتي فتنطلق عادة نظريًّا أواخر شهر شباط (فيفري) وتكون مدة نشاطها قصيرة بسبب العوامل الطبيعية المعاكسة مثل البرودة الشديدة وعدم توفر المراعي لخيول المسلمين أثناء الغزو. (ابن خرداذبة، ١٨٨٩، ص ٢٥٩).

(٨) انطلقت آخر صائفة إلى بلاد الروم في العهد الراشدي حسب بعض المصادر العربية سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣-٦٥٤م (خليفة، ١٩٨٥، ص ١٦٧؛ البلاذري، ١٩٩٢، ص ٢٢٠؛ الطبري، ١٩٦٩، ج ٤، ص ٣١٧) في حين يذكر المؤرخ البيزنطي ثيوفانس Theophanes (١٩٩٧) صائفة أخرى بعدها، سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤-٦٥٥م (p 482).

(٩) على الرغم من أن اليعقوبي (٢٠١٠) يذكر في تاريخه أن معاوية أرسل حملة ضد بلاد الروم بقيادة حبيب بن مسلمة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م (ج ٢، ص ١٥٢). إلّا أن معظم المصادر لا تأتي على ذكرها، ويبدو أن الانطلاقة الحقيقية للصوائف من جديد كانت في السنة الموالية، حيث لم تكن الظروف تسمح لإعادة بعث الصراع مع الروم قبل ذلك.

(١٠) بسر بن أبي أرطأة: من بني عامر بن لؤي، سكن الشام وانضم إلى معاوية في أحداث الفتنة، فبعثه لقتال من كان في طاعة علي بن أبي طالب في المدينة ومكة واليمن (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٦، ص ٥٣٩)، شارك في فتح مصر (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ١٠، ص ١٤٤) وفتوحات المغرب مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح (البلاذري، ١٩٩٦ ج ١١، ص ٢٨)، وقاد العديد من حملات الغزو لبلاد الروم في خلافة معاوية، توفي سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ١٠، ص ١٤٨-١٤٩-١٥٦)

(١١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: شارك في فتوحات الشام، وكان مع أبيه على رأس قسم من جيش المسلمين في معركة اليرموك، سكن حمص، وشهد مع معاوية موقعة صفين خلال الفتنة الكبرى (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٣٤، ص ٣٢٤-٣٢٥). يعد من أشهر قادة الصوائف في بداية العهد الأموي، وقد أكسبته كفاءته العسكرية منزلة كبيرة بين أهل الشام

الطبري، ١٩٦٩، ج٥، ص ٢١٢)، ومالك بن عبد الله الخثعمي [١٢](البلاذري، ١٩٩٢، ص٢٢٦).

ونلاحظ خلال هذه الفترة أيضا بالتزامن مع حملات الصوائف والشواتي، نشاطا كبيرًا للأسطول الإسلامي (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ٢١٢-٢٣١-٢٣٢-٢٣٤؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٣٧، ص ١١٤) الذي أخذ يلعب دورا متناميًّا في الصراع مع الروم خلال العهد الأموي ويعمل على إسناد العمليات البرية، وهذا الأمر مهم جدًا في أي مشروع لاستهداف القسطنطينيّة [١٣]، فموقعها المحصن طبيعيًّا بالبحر (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ٤، ص ٣٤٧) يفرض على أي قوة تطمح للسيطرة عليها تفعيل دور الأسطول البحري بجانب عمليات الجيوش البريَّة لإحكام الحصار على المدينة من البر والبحر. وهذه النقطة بالذات ذات دلالة مهمة في موضوعنا، وسنناقشها بمزيد من التفصيل لاحقًا ضمن المبحث الثالث.

(ب) الأوضاع في الإمبراطوريّة البيزنطيّة:

كانت بيزنطة بالتزامن مع تأسيس الدولة الأموية قد انحدرت إلى مستوى خطير من الفوضى وعدم الاستقرار، حيث كان الإمبراطور قنسطانز الثاني Constans II [١٤] متمركزًا في سيراكيوز Syracuse بصقلية [١٥] منذ سنة ٦٦٢م/ ٤٢هـ من أجل اعادة ترتيب الأوضاع في الغرب، والدفاع عن ممتلكات إمبراطوريته في إيطاليا ضد اللومبارد (Treadgold, 1997, p 319) مصطحبًا معه في هذه المهمة قسما كبيرًا من أسطوله البحري وعشرين ألفًا من جنود جيشه المتمركزين في أسيا الصغرى (أرشيبالد، د. ت، ص ٩٤) ما ساهم في تضعضع الموقف العسكري للدولة البيزنطيّة في مواجهة المسلمين، حيث لم يكن هناك ما يكفي من القوات في الأناضول لمواجهة المد الإسلامي (Kaegi, 1981, p 165). وفي ظل انشغال الإمبراطور في إيطاليا وغياب سلطة قوية في القسطنطينيّة، ظهر تمرّد في المناطق المتاخمة لأرمينية [١٦] في أسيا

(البلاذري، ١٩٩٦ ج ١٠، ص ٢٠٩)، توفي بحمص مسموما سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م حسب العديد من الروايات (البلاذري، ١٩٩٦ ج ١٠، ص ٢٠٩؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٣٤، ص ٣٢٨-٣٣٤).

(١٢) مالك بن عبد الله الخثعمي: من أهل فلسطين، كان كثير الغزو لبلاد الروم، حتى اشتهر بذلك فكان يُعرف بمالك السرايا أو مالك الصوائف، تولى قيادة الحملات في خلافة معاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وكان أمينًا تقيًّا رفيقًا بجنده حريصًا على سلامتهم (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٥٦، ص ٤٦٦-٤٧٣-٤٧٤-٤٧٥-٤٧٧).

(١٣) القسطنطينية: دار ملك الروم، كانت تعرف ببزنطية سابقًا حتى انتقل إليها قسطنطين الأكبر فعمّرها وبنى عليها سورًا وسماها القسطنطينية على اسمه (البكري، ٢٠٠٣، ج ٢، ص ٤٦) وهي مدينة عظيمة يحيط بها البحر من الشمال والشرق، ولها أسوار سميكة من جهة البر والبحر، وأبواب كثيرة أشهرها باب الذهب. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ٤، ص ٣٤٧)، تتمتع بموقع مميز يربط بين أوربا وأسيا على نتوء (رأس) ضيق يسهل الدفاع عنه، وفي الجانب الشمالي منها يوجد القرن الذهبي أحد أفضل الموانئ الطبيعية في العالم. (Venning, 2006, p XV)

(١٤) ثالث أباطرة الأسرة الهرقلية، وحفيد مؤسسها "هرقل" تولى السلطة أواخر سنة ٦٤١م (٤١هـ) في سن الحادية عشر، توفي مقتولًا على يد أحد خدمه في صقلية سنة ٦٦٨م (٤٨هـ). (Ostrogorsky, 1968, p 114-123)

(١٥) صقلية: جزيرة في البحر قبالة إفريقيا، عامرة وخصبة كثيرة البلدان والقرى والقلاع، يغلب عليها الجبال والحصون، فتحها أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م في عهد الأغالبة. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ٣، ص ٤١٦-٤١٧-٤١٨).

(١٦) أرمينية: تقع بين سلسلة جبال القوقاز والبحر الأسود شمالا وسلسلة جبال طوروس وسهل الجزيرة (ما بين النهرين) جنوبًا، ومن أذربيجان والإقليم الواقع جنوب غرب بحر الخزر شرقًا إلى حدود أسيا الصغرى غرب الفرات غربًا. وهي منطقة جبلية تتخللها هضاب متباينة

الصغرى سنة ٦٦٨م/ ٤٨هـ بزعامة سابور Saborios قائد ثيم (مقاطعة) الأرمنياق [١٧]، ومن أجل دعم موقفه عمل هذا القائد على ربط الاتصال بخليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان؛ بهدف الحصول على مساعدته في مواجهة القوات الموالية للإمبراطور، حيث أرسل إليه مبعوثًا للوصول إلى اتفاق تعاون بين الطرفين يقضي بإخضاع بلاد الروم للخليفة، مقابل دعم عسكري إسلامي لصالح التمرد، وقد وضعت هذه الخطوة قسطنطين الشاب Constantine ابن الإمبراطور -الذي كان ينوب عن أبيه قنسطانز في العاصمة- في موقف صعب، فسارع بدوره إلى إرسال مبعوث لمعاوية؛ بهدف إفشال أي اتفاق محتمل بين الخليفة وسابور المتمرد من جهة، مع محاولة ضمان دعم المسلمين إن أمكن، من جهة أخرى (Theophanes, 1997, p 488; Michel, 1901, Tome 2, p 451-452). وفي تلك الظروف الحرجة تعرض الإمبراطور قنسطانز إلى مؤامرة في صقلية انتهت باغتياله على يد خادم له، وتمّ إعلان أحد القادة العسكريين يدعى مزيزيوس Mezezius إمبراطورًا، ما اضطر قسطنطين الذي كان في السادسة عشرة من عمره حينها إلى الانتقال من العاصمة إلى صقلية، للدفاع عن حقه في العرش والانتقام من المشاركين في مؤامرة قتل أبيه، ولم يعد إلى القسطنطينيّة إلّا في ربيع سنة ٦٦٩م/ ٤٩هـ (Venning, 2006, p 175-176).

من خلال هذا العرض يظهر بشكل جلي تباين وضعية الدولتين في تلك المرحلة، ففي حين كانت الخلافة تتمتع بالاستقرار وتماسك الجبهة الداخلية، بعد توحيد الأمة وتجاوز فترة الانشقاق التي اعترتها لمدة أكثر من خمس سنوات، كانت بيزنطة تعاني من الفوضى وحركات التمرد، ما ساعد في إكساب المسلمين أفضلية واضحة في مواجهة خصومهم، حيث كانت أقاليم أسيا الصغرى مفتوحة أمام تحركات قوات الصوائف والشواتي التي استطاعت أن تتوغل في عمق الأراضي البيزنطيّة، دون أن تلقى مقاومة جدية من طرف الروم، بل واستطاعت بعض الحملات الإقامة في الأناضول لأشهر عديدة دون أن تتعرض لأي تهديد جدي هناك. وهكذا يبدو جليًّا أنّ الظروف والفرصة كانتا مواتيتين بالنسبة للمسلمين لاختبار مشروع فتح عاصمة البيزنطيين.

المبحث الثاني: مجريات حملة ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٩-٦٧٠م.

شهد عام ٤٩هـ/ ٦٦٩م نشاطًا عسكريًّا إسلاميًّا كثيفًا ضد الروم، تكلل بإرسال أكثر من حملة خلال تلك السنة، حيث كانت البداية مع إرسال معاوية بن أبي سفيان مطلع السنة -أو قبلها بقليل- حملة يقودها فضالة بن عبيد [١٨] (ابن

الارتفاع، وتتواجد بها أنهار كثيرة مثل نهر الرس ونهر الكر، وبحيرات عديدة مثل بحيرة وان وبحيرة سيوان. وعندما فتحها العرب اعتمدوا التقسيم الذي وجدوها عليه: أرمينية الكبرى (خلاط ونواحيها) وأرمينية الصغرى (تفليس ونواحيها)، ثم أعادوا تنظيمها وتقسيمها إلى أربعة أقسام (أديب السيد، ١٩٧٢، ص ٢٤—٢٥-٢٧-٢٨)

(١٧) ثيم الأرمنياق: مقاطعة عسكرية تشمل المناطق الشمالية الشرقية لأسيا الصغرى على الحدود مع أرمينية، يخضع لسلطة قائد يجمع بين السلطة العسكرية والإدارة المدنية ويحمل لقب "استراتيجوس Strategos"، تم استحداثه منذ عهد هرقل (حسنين محمد، ١٩٨٣، ص ٧٥). أما نظام الثيمات، فهو عبارة عن نظام عسكري إداري يقضي بتقسيم الأراضي البيزنطية إلى مقاطعات Themes تحت إشراف قادة يتمتعون بسلطات عسكرية وإدارية، وإنزال فرق عسكرية بها مقابل إقطاعهم أراضٍ زراعية لإعالة أنفسهم (حسنين محمد، ١٩٨٣، ص ٧٥-٧٧). ظهر منذ القرن السابع ميلادي في أسيا الصغرى التي تم تقسيمها بالتدريج إلى خمس مقاطعات حتى نهاية القرن هي: الأرمنياق Armeniac، والأناضول Anatolic، والأبسيق Opcisian، وترقسيس Thracesian، والثيم البحري Carabisian (Treadgold, 1997, p 315)

(١٨) فضالة بن عبيد الأنصاري: من الأوس، شهد مع الرسول (ص) معركة أحد وغيرها من المواجهات والغزوات، وكان ممن حضر بيعة الرضوان. شارك في فتوحات الشام ومصر وغزو المغرب (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٨، ص ٢٩٦-٢٩٧)، انتقل إلى الشام واستقر بدمشق

كثير، ١٩٩٧، ج ١١، ص ١٨٠) من أجل دعم موقف قائد مقاطعة الأرمنياق سابور، الذي تمرد ضد الإمبراطور وعقد اتفاقًا مع معاوية يقضي بحصوله على دعم عسكري من الخليفة كما مرّ علينا سابقًا، وقد تقدم فضالة بقواته داخل الأراضي البيزنطيّة في منطقة تدعى Hexapolis [١٩] لكن مجرى الأحداث كان قد تغير، فبموت قائد التمرد سابور في حادث عرضي (Theophanes, 1997, p 490) تم تجاوز حالة الانقسام وتوحدت صفوف البيزنطيين من جديد، ورغم ذلك واصل فضالة توغّله داخل بلاد الروم، واستطاع أن يحقّق انتصارات مهمة على حساب القوات البيزنطيّة ويفتح بعض المناطق ويحرز غنائم معتبرة، وأمضى الشتاء هناك (ابن كثير، ١٩٩٧، ج ١١، ص ١٨٠) ربما في خرشنة [٢٠] حسب رأي شعيرة (١٩٤٧، ص ١٢٠) على تخوم مقاطعة الأرمنياق معقل التمرد، وأرسل في طلب المدد من معاوية بعد تغيّر الأوضاع في بلاد الروم مع موت قائد التمرد (Theophanes, 1997, p 490; Agapius, 1909, Partie 2, p 229)، ما أدّى إلى انهيار التحالف بين المسلمين والمتمرّدين البيزنطيين. وعرفت هذه السنة أيضا (٤٩هـ/ ٦٦٩م) إرسال حملتين منفصلتين على مناطق متفرقة من أسيا الصغرى، الأولى في فصل الصيف بقيادة عبد الله بن كُرز البجلي، والأخرى في الشتاء بقيادة مالك بن هبيرة [٢١]، وقد رافق تحركات الجيوش الإسلامية على الأرض دعمٌ من الأسطول البحري المصري بقيادة عقبة بن نافع [٢٢]، والشامي بقيادة يزيد بن شجرة الرهاوي [٢٣] (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ٢٣٢) الذين تكفلا بشلّ كل تحرك محتمل للأسطول البيزنطي (Cheira, 1947, p 135). ورغم غياب المعطيات عن وجهة الحملتين البحريتين وما قامتا بإنجازه، لكن يبدو أنهما ربما كانتا تهدفان لتخفيف الضغط عن قوات فضالة داخل بلاد الروم من خلال تشتيت تركيز جهود القوات البيزنطيّة في انتظار تجهيز قوات الدعم الرئيسة، التي لم تصبح جاهزة عمليًّا على الأرجح إلا في الفترة بين أواخر سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م

واشتغل فيها قاضيًا في عهد معاوية (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٤، ص ٣٠٨). قاد العديد من الحملات ضد بلاد الروم، توفي بدمشق في خلافة معاوية (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٨، ص ٣٠٠-٣٠٦).

(١٩) هكسابوليس Hexapolis: منطقة في أسيا الصغرى، وتعني المدن الستة (Ramsay, 1890, p 142) تقع جنوب مقاطعة الأرمنياق وكانت تعرف سابقًا باسم أرمينية الرابعة (Petersen, 2013, p 447-452).

(٢٠) خرشنة: بلد من أرض الروم قريب من ملطية (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ٢، ص ٣٥٩) منيع محصن بشكل جيد (Michel, 1901, Tome 2, p 501) استولى عليه المسلمون سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م في حملة قادها معاوية بن هشام (خليفة، ١٩٨٥، ص ٣٤٣).

(٢١) مالك بن هبيرة السكوني: من أهل دمشق، كان من القادة المعدودين في حملات الغزو ضد بلاد الروم مطلع العهد الأموي، ولاه معاوية أواخر عهده أميرا على حمص، ناصر مروان بن الحكم في مؤتمر الجابية وقاتل معه في معركة مرج راهط خلال الفتنة الثانية، توفي في خلافة مروان -على الأرجح سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م-. (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٥٦، ص ٥٠٨-٥١٤-٥١٥-٥١٦)

(٢٢) عقبة بن نافع الفهري: شارك مع عمرو بن العاص في فتح مصر، بعثه معاوية في خلافته لغزو إفريقيا، ففتحها وبنى بها القيروان، عيّنه يزيد بن معاوية واليًا على إفريقيا للمرة الثانية سنة ٦٢هـ/ ٦٨٢م، استشهد بمنطقة تهوذة في مواجهة البربر بعد عودته من غزو بلاد المغرب سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٦، ص ١٣٩-١٤٠-١٤٢؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٠، ص ٥٢٧)

(٢٣) يزيد بن شجرة الرهاوي: من أشراف أهل الأردن، استعمله معاوية على موسم الحج سنة ٣٩هـ/ ٦٦٠م، وولّاه قيادة حملات الصوائف والشواتي عدة مرات (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٢٢٥-٢٢٩-٢٣٠). استشهد ببلاد الروم في البحر سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٩، ص ٤٤٩؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٢٢٣).

وبداية سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م تحت إشراف يزيد بن معاوية [٢٤]، وسفيان بن عوف الغامدي [٢٥]. وقد التحق هذا الأخير سريعًا بفضالة داخل بلاد الروم في حين تثاقل يزيد بن معاوية عن الغزو، ومع الدعم الذي حصل عليه فضالة، باشر نشاطه من جديد مع اعتدال المناخ حيثما توغل أكثر داخل الأراضي البيزنطيّة في أسيا الصغرى، حتى بلغ مدينة خلقدونيّة[٢٦]، وقد واجهت قوات المسلمين هناك العديد من الصعاب فقد فشا فيهم المرض وعانوا من نقص في المؤونة، فلما بلغ ذلك معاوية حمل ابنه يزيد -الذي كان قد تأخّر عن الالتحاق بالحملة، وتروي بعض المصادر أنه قال شعرًا يستهزأ فيه بما أصاب الجنود المسلمين من أمراض- على رأس قوات من أنطاكية [٢٧] وبعلبك [٢٨] وغيرهما لتعزيز الجيش الإسلامي هناك (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٥، ص ٩٣-٩٤-٣٠١؛ اليعقوبي، ٢٠١٠، ج ٢، ص ١٣٨؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٤٠٥-٤٠٦). هذا ما يمكن استنتاجه من خلال الترتيب المنطقي للأحداث التي وردت في المصادر الإسلامية ومحاولة التوفيق بينها وبين ما جاءت به المصادر البيزنطيّة.

إننا لا نملك تفاصيل واضحة -للأسف- عن حجم وطبيعة المواجهات التي جمعت الطرفين عند خلقدونيّة، لكن يبدو أن المسلمين واجهوا بعض الصعوبات ومقاومة عنيفة من طرف البيزنطيين، حيث كانت هذه المنطقة تضمّ فرقًا من الحرس الإمبراطوري، الذي يكوّن ثيم (مقاطعة) الأبسيكيون Opsikion (Shepard, 2008, p 240) ويختصّ بالدفاع عن العاصمة وحمايتها من الأعداء (حسنين محمد، ١٩٨٣، ص ٧٦)، ما دفع بمعاوية إلى إرسال تعزيزات إضافية ضمت

(٢٤) يزيد بن معاوية: ثاني خلفاء بني أمية، ولد بدمشق سنة ٢٥هـ/ ٦٤٦م، شارك في غزو بلاد الروم في شبابه وأشرف على موسم الحج (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٣٩٧-٤٠٤-٤٠٦)، تولى الخلافة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م بعد وفاة أبيه معاوية بعهد منه (البلاذري، ١٩٩٦ ج ٣، ص ٣٦٨؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٣٩٧)، كان يُطعن في التزامه الديني والأخلاقي، شهد عهده أحداثًا منكرة كقتل الحسين بن علي، واستباحة المدينة وقتل عدد من أهلها، ورمي الكعبة بالمنجنيق (البلاذري، ١٩٩٦ ج ٥، ص ٢٩٩). مات بدمشق في ربيع الأول سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م (خليفة، ١٩٨٥، ص ٢٥٣)

(٢٥) سفيان بن عوف الغامدي: شارك في فتوح الشام مع أبو عبيدة بن الجراح (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٢١، ص ٣٤٧)، انضم إلى معاوية خلال الفتنة، فكان ممن وجههم للإغارة على من في طاعة علي بن أبي طالب، فأتى الأنبار في ستة آلاف، فقتل عامل علي عليها مع عدد من سكانها (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٣، ص ٢٠١). عرف بقيادة الحملات الموسمية ضد بلاد الروم خلال العهد الأموي، وكان على قدر كبير من الكفاءة وحسن تدبير للحرب حريصًا على استعراض الجند وتفقد تجهيزاتهم، واتخذ من كل أقاليم الشام رجالًا من أهل الشجاعة والرأي، يستعين بهم في حملات الصوائف والشواتي. توفي غازيًا أواخر خلافة معاوية (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٢١، ص ٣٤٩-٣٥١-٣٥٢؛ ج ٣٣، ص ٤٩-٥٠)

(٢٦) على الأرجح هي نفسها المدينة التي تظهر في بعض المصادر العربية بأسماء متشابهة ومتقاربة مثل: قرقدونة (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٥، ص ٩٤)، أو غذقدونة (اليعقوبي، ٢٠١٠، ج ٢، ص ١٣٨)، أو فرقدانة أوفرقدونة (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٤٠٥-٤٠٦)، ما يرجح أنها الصيغة العربية المحرفة لأصل الاسم الحقيقي للمدينة البيزنطية (خلقدونية).

(٢٧) أنطاكية: احدى أهم مدن الثغور الشامية، تقع على بعد فرسخين من البحر. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ١، ص ٢٦٦-٢٦٨) بنيت على سفح جبل يطل عليها من الشرق، ويحيط بها سور من حجارة بطول اثنا عشر ميلًا، وهي كثيرة المياه والزرع والأسواق (المهلبي، ٢٠٠٦، ص ٦٥). فتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحا (خليفة، ١٩٨٥، ص ١٣٥-١٣٥)

(٢٨) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق اثنا عشر فرسخا. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ١، ص ٤٥٣) وهي قريبة من مدينة بيروت، شُيدت على جبل، وجل أبنيتها من الحجارة ليس بالشام أكبر وأعجب منها (ابن حوقل، ١٩٩٢، ص ١٦٢)، فتحها خالد بن الوليد صلحا سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م (خليفة، ١٩٨٥، ص ١٣٠).

أساسًا فرسانًا من بعلبك وأنطاكية (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٥، ص ٩٤). ولا نستبعد أنّ المسلمين قاموا بتوسيع مجال عملياتهم هناك إلى المناطق المحيطة بخلقدونيّة Chalcedon، وربما وصلت سراياهم إلى الساحل الأسيوي المطل على المضيق قبالة القسطنطينيّة.

وفي حين تسكت المصادر العربية عن إنجازات هذه الحملة، تذكر بعض المصادر البيزنطيّة أنّ عمليات المسلمين أوقعت عددا كبيرًا من الروم في الأسر، وفي طريق عودتهم من خلقدونيّة Chalcedon نجح المسلمون في الاستيلاء على مدينة عمورية Amorion [٢٩] المهمة وخلّفوا بها حامية من خمسة آلاف رجل، قبل أن يرجعوا إلى الشام، لكن مع حلول فصل الشتاء كان البيزنطيون قد استطاعوا استرجاع المدينة والقضاء على الحامية الإسلامية فيها بالكامل (Theophanes, 1997, p 490). فهل أراد المسلمون من وراء ترك حامية لهم في عمورية الاحتفاظ بالمدينة كمركز متقدم داخل بلاد الروم مستغلين الفوضى التي كانت عليها الإمبراطوريّة البيزنطيّة؟ خاصة إذا أخذنا في الاعتبار التجارب السابقة الناجحة في الاحتفاظ بقوات إسلامية داخل الأراضي البيزنطيّة لعدة شهور دون أن تتعرض لتهديد حقيقي، يبقى هذا الاحتمال واردًا رغم أنّ هذه الخطوة لا تتماشى مع الإستراتيجية التي اتبعها المسلمون في حربهم ضد الروم حتى ذلك الوقت، ومع ذلك تظل هذه الرواية في نهاية المطاف بحاجة إلى دليل يدعمها خاصة في المصادر العربية.

المبحث الثالث: حقيقة استهداف مدينة القسطنطينيّة.

كانت فكرة الاستيلاء على القسطنطينيّة في الحقيقة تراود معاوية بن أبي سفيان، مذ كان واليًا على الشام، كما أن الرمزية العظيمة للمدينة في الصراع بين المسلمين والروم، تركت أثرًا حتى في أخبار المصادر التي بدأت تتناول مشاريع وحملات مفترضة لغزو المدينة منذ وقت مبكر نسبيًّا، فبعض المؤرخين البيزنطيين والسريان مثلًا، يذكرون أنّ معاوية بن أبي سفيان قام، وهو وال على الشام والجزيرة، باستعدادات كبيرة من أجل استهداف العاصمة البيزنطيّة سنة ٣٤هـ/ ٦٥٣-٦٥٤م، حيث جهّز سلاحًا كثيرًا وأعدّ أسطولًا ضخمًا في مدينة طرابلس [٣٠] على الساحل السوري، لكن رجلين مسيحيين من سكان المدينة كانا في خدمة المسلمين، وبدافع من الحميّة الدينية قاما بإطلاق الأسرى الروم من سجن المدينة، ثمّ قتلوا من بها من المسلمين وأحرقوا التجهيزات والاستعدادات المخصصة للحملة وفرّوا إلى بلاد الروم (Theophanes, 1997, p 482; Agapius, 1909, Partie 2, p 223-224; Michel, 1901, Tome 2, p 445) ما حال دون تنفيذ هذا المشروع، وتشير بعض المصادر العربية والسريانيّة أيضا إلى أنّ بسر بن أبي أرطأة، غزا بلاد الروم سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م فبلغ بحملته القسطنطينيّة (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ١٨١؛ ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج ٥، ص ٢٠١؛ النويري، ٢٠٠٤، ج ٢٠، ص ١٦٥؛ Agapius, 1909, Partie 2, p 228). وهذه الشهادة الأخيرة بالتحديد، التي تقدمها المصادر ولا تؤكدها الوقائع، تقدّم دليلًا واضحًا على

(٢٩) عمورية: مدينة عظيمة ببلاد الروم، لها قلعة حصينة (القرماني، ١٩٩٢، مج ٣، ص ٤٢٠) وهي ذات أهمية كبيرة؛ إذ تعد مركز ثيم (مقاطعة) الأناضول (Treadgold, 1997, p 316) استهدفها المسلمون عدة مرات دون أن يتمكنوا من فتحها (الطبري، ١٩٦٩، ج ٤، ص ٢٥١؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٦، ص ١٤٠؛ Theophanes, 1997, p 538; Michel, 1901, Tome 2, p 441).

(٣٠) طرابلس: تعرف أيضا باسم أطرابلس، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ١، ص ٢١٦) بها ميناء كبير، وتعد من المدن الملحقة بإقليم دمشق (اليعقوبي، ٢٠٠٢، ص ١٦٤) بينها تسعون ميلًا (المهلبي، ٢٠٠٦، ص ٩٦) فتحها سفيان بن مجيب الأزدي في خلافة عثمان (البلاذري، ١٩٩٢، ص ١٤٨).

ضرورة التعامل بحذر مع ما تحمله من روايات عن استهداف العاصمة البيزنطيّة في أخبارها، خلال الفترة المبكرة من الصراع الإسلامي البيزنطي.

تتفق العديد من المصادر -العربية منها والبيزنطيّة وحتى السريانيّة- على أنّ قوات المسلمين بقيادة فضالة بن عبيد، ويزيد بن معاوية، قد بلغت فعلًا مدينة خلقدونيّة قرب مضيق البوسفور في حملة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٥، ص ٣٠١؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٤٠٥؛ Theophanes, 1997, p 490 ; Agapius, 1909, Partie 2, p 454 ; Michel, 1901, Tome 2, p 229)، لكن هل واصل المسلمون بعدها تقدمهم إلى مدينة القسطنطينيّة، وفرضوا عليها الحصار كما تذهب إليه العديد من المصادر والدراسات الحديثة؟ وهل كان هدف الحملة منذ البداية إسقاط عاصمة الإمبراطوريّة والاستيلاء عليها؟

تتميّز الأخبار في المصادر الإسلامية، بالتحديد فيما يخص هذه النقطة، بالارتباك والتضارب، فالبلاذري (١٩٩٦) في كتابه (أنساب الأشراف) يذكر أن يزيد بن معاوية بلغ الخليج ثم انصرف (ج ٥، ص ٣٠١)، دون أي إشارة يمكن أن يُفهم من خلالها وصوله إلى العاصمة البيزنطيّة، بينما يذكر مؤرخون آخرون أنّ يزيدَ بلغ فعلًا القسطنطينيّة (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٤٠٥؛ ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج ٥، ص ٢٢٤؛ ابن الأثير، ١٩٨٧، ج ٣، ص ٣١٤؛ ابن كثير، ١٩٩٧، ج ١١، ص ١٨٠) ويوافقهم في ذلك المؤرخ السرياني إيليا النصيبي (١٩١٠) لكنه يؤرخ الحملة بتاريخ ٥١هـ/ ٦٧١م (p 90)، أما الذهبي (١٩٨٩) في كتابه تاريخ الإسلام فقد كان أكثر وضوحًا حين يذكر أنّ يزيد ابن معاوية عبر الخليج، وقاتل أهل القسطنطينيّة على بابها (ج ٤، ص ٢٢)، في المقابل يشير المؤرخ البيزنطي ثيوفانس (1997) في حوليته أنّ يزيدا أتى خلقدونيّة مع جيش كبير من "البرابرة" [٣١] أين أصابوا العديد من الأسرى (p) 490، ولا يُظهر أي إشارة عن وصول المسلمين إلى القسطنطينيّة، وهو ما تدعمه بعض المصادر السريانيّة التي تذكر أن المسلمين بعدما قاموا بتخريب ونهب البلاد، وصلوا بحملتهم حتى خلقدونيّة ثم قفلوا راجعين (Agapius, 1909, Partie 2, p 229; Michel, 1901, Tome 2, p 454) دون أي حديث عن تقدم نحو العاصمة البيزنطيّة.

إنّ المصادر والعديد من الدراسات العربية الحديثة، تركز على حقيقة مشاركة يزيد بن معاوية، وأبي أيوب الأنصاري[٣٢] معا، للتأكيد على بلوغ هذه الحملة أسوار القسطنطينيّة (عثمان، د. ت، ج ٢، ص ٤٤؛ رمضان، د. ت، ص ٩٨-٩٩؛ صالح العلي، د. ت، ص ٣٠٥؛ حسنين محمد، ١٩٨٣، ص ٨٨؛ زعرور وعلي أحمد، ١٩٩٥-١٩٩٦، ص ٢٦؛ منصور، ٢٠٠٨، ص ٥٨-٥٩؛ عمر يحي، ٢٠٠٩، ص ١٨٦-١٨٧؛ طقوش، ٢٠١٠، ص ٣٢-٣٣؛ رستم، ٢٠١٨، ص ٢٣٥)، خاصة أن الأخير (أبا أيوب) قد تمّ دفنه عند أسوار العاصمة البيزنطيّة، وفي حين أن مشاركتهما في حملة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م مؤكّدة بشكل قاطع، إلّا أن بلوغهما العاصمة الإمبراطوريّة خلال مجريات هذه الحملة يحوم حوله الشكّ، وفيما يتعلق بمسألة وفاة أبي أيوب الأنصاري ودفنه

(٣١) وظّف ثيوفانس (١٩٩٧) في سرد الحادثة كلمة (البرابرة Barbarians) لوصف جيش المسلمين (490 p)، ما يعكس نظرته الدونية لهم، باعتبارهم مجرد همجيين لا يرقون للحضارة البيزنطية.

(٣٢) أبو أيوب الأنصاري: اسمه خالد بن زيد من بني النجار (الخزرج) يعدُّ من بين المسلمين الأوائل من الأنصار، شهد بيعة العقبة واستضاف الرسول (ص) في بيته عندما هاجر إلى المدينة، وشارك في كل المعارك والغزوات مع النبي (ص) (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٣، ص ٤٤٩-٤٥٠)، شارك في فتح مصر، ولزم الجهاد ضد الروم ضمن الحملات الموسمية حتى وفاته غازيًا في خلافة معاوية، ودفن بطلب منه عند أسوار القسطنطينية، فبنى الروم على قبره قبة وكانوا يتبركون به (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ١٦، ص ٤٢-٦٠-٦١-٦٢).

عند أسوار القسطنطينيّة، فهذا الأمر بدوره تختلف المصادر في تحديد تاريخه بدقة [٣٣]، وبالتالي لا يمكن أن يكون دليلًا يمكن الاعتماد عليه كثيرًا، وعلى ضوء هذه المعطيات يُحتمل أن يزيد بن معاوية، وأبا أيوب الأنصاري، قد استهدفا القسطنطينيّة في حملة أخرى لاحقا -كما سنوضح فيما يلي من أسطر- غير تلك التي قاما بها سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، ما أوقع المصادر في هذا الخلط حتى إنها لا تتفق على تاريخ واحد محدّد لهذه الحملة [٣٤].

ومن أجل إثبات هذه الفرضية؛ سنحلل أربع روايات على قدر كبير من الأهمية، وتكمّل بعضها البعض في الحقيقة، حتى تعطينا صورة واضحة عن مجريات الأحداث.

في الرواية الأولى التي نجدها عند ابن عساكر (١٩٩٥) عن صفوان بن عمرو [٣٥]، الذي عاش بين أواخر القرن الأول هجري والنصف الأول من القرن الثاني، يذكر فيها أن: "عبد الله بن قيس الفزاري [٣٦] غزا القسطنطينيّة بالسفن المحرّقات، فالتحم بسفن بيزنطية في الخليج، فهزمها وظفر بعدد من الأسرى، فجاء بهم إلى يزيد بن معاوية، فقام بضرب أعناقهم والروم تنظر إليهم" (ج ٢٤، ص ١٥٣؛ ج ٣٢، ص ١١٩).

وتكمن أهمية هذه الرواية في أنها تذكر مشاركة يزيد بن معاوية في حصار القسطنطينيّة في الوقت الذي كان فيه عبد الله بن قيس الفزاري يقود أسطول المسلمين، والمعلومات المتوفرة لا تأتي على ذكر اسم هذا الأخير في قيادة الحملات البحرية على بلاد الروم إلّا مرتين، سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م ضد صقلية، وسنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م ضد القسطنطينيّة، وليس قبل ذلك (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٣٢، ص ١١٩-١٢١؛ ج ٣٦، ص ٣٥٣). كما أنها منقولة عن شخص (صفوان بن عمرو)

(٣٣) يرى ابن الأثير (١٩٨٧) وفاته في أحداث سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م (مج ٣، ص ٣١٥)، بينما يذكر خليفة (١٩٨٥) أنه توفي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م (ص ٢١١)، في حين تذكر بعض المصادر الأخرى أن وفاته كانت سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٣، ص ٤٥٠؛ البلاذري، ١٩٩٦، ج ١، ص ٢٤٢؛ ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج ٥، ص ٢٤٩؛ الذهبي، ١٩٩٦، ج ٢، ص ٤١٢)، وسنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م عند أبو زرعة الدمشقي (١٩٩٦، ص ٤٢)، بينما يورد ابن عساكر (١٩٩٥) روايات مختلفة عن تاريخ وفاة أبو أيوب الأنصاري منها سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، و٥١هـ/ ٦٧١م، و٥٢هـ/ ٦٧٢م، و٥٥هـ/ ٦٧٥م. (ج ١٦، ص ٦٣-٦٤).

(٣٤) اختلفت المصادر في تحديد تاريخ حملة "القسطنطينية" هذه، التي قادها يزيد بن معاوية، فبعضها يوردها في أحداث سنة **٤٩هـ/ ٦٦٩م** (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج ٥، ص ٢٢٤؛ ابن كثير، ١٩٩٧، ج ١١، ص ١٨٠). بينما يذكرها آخرون في سنة **٥٠هـ/ ٦٧٠م** (خليفة، ١٩٨٥، ص ٢١١؛ الذهبي، ١٩٨٩، ج ٤، ص ٢١؛ ابن تغري، ١٩٩٢، ج ١، ص ١٨٢). أما المسعودي (٢٠٠٥) فيوردها في سنة **٥١هـ/ ٦٧١م** (ج ٣، ص ٢٧). وابن سعد (٢٠٠١) في سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م (ج ٣، ص ٤٥٠). في حين يذكرها أبو زرعة الدمشقي (١٩٩٦) في سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م (ص ٤٢). ويجعلها اليعقوبي (٢٠١٠) مرة في سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م وأخرى في سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م (ج ٢، ص ١٣٨-١٥٣). بينما يصبح الأمر أكثر اضطرابًا عند ابن عساكر (١٩٩٥) الذي يعتمد روايات مختلفة في كتابه تاريخ دمشق تجعلها مرة في سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، وفي أخرى سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وسنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م، وسنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م (ج ١٦، ص ٣٨-٦٠؛ ج ٦٥، ص ٤٠٤-٤٠٥).

(٣٥) صفوان بن عمرو السكسكي: من أهل حمص روى عن عبد الله بن بسر المازني، وعمرو بن قيس الكندي، وشريح بن عبيد، وغيرهم. أدرك خلافة عبد الملك بن مروان وتجنّد في حملة بحمص سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م ما يؤكد أنه كان شابًا حينها، وبالتالي يمكن أن نضع تاريخًا تقريبيًّا لميلاده يوافق السنوات الأولى للعقد السابع، عاش حتى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م في أرجح الأقوال. عدّه ابن أبي حاتم، وابن المبارك، والدارقطني، وغيرهم، من الثقات (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٢٤، ص ١٤٨-١٥٤-١٥٧-١٥٨).

(٣٦) عبد الله بن قيس الفزاري، أو الأنصاري: اختلف في نسبه، فقيل إنه من فزارة، وقيل إنه من بني زريق (الخزرج)، كان كثير الغزو لبلاد الروم، ولّاه معاوية غزو البحر، وشارك في حصار القسطنطينية. (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٣٢، ص ١١٨-١١٩).

أصيل حمص [٣٧] وقريب العهد من الأحداث وتصفه المصادر بأنه ثقة (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٩، ص ٤٧٢؛ العجلي، ١٩٨٣، ص ٢٢٨؛ المزي، ١٩٨٣، مج ١٣، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن حجر العسقلاني، د. ت، ج ٢، ص ٢١٣-٢١٤)، وأخيرًا تثبت هذه الرواية بما لا يدع مجالًا للشكّ مشاركة يزيد بن معاوية في حصار القسطنطينيّة، حيث إنّ إعدامه للأسرى تحت أنظار الروم -ربما من أجل اضعاف معنوياتهم- يشير إلى أنه كان ينزل في مكان قريب من أسوار المدينة وعلى مرأى من أهلها.

أما الرواية الثانية عند ابن عساكر (١٩٩٥) فيذكر، في ترجمة عبد الله بن قيس، شهادة مرفوعة إلى أبي عبد الرحمن الحُبلي [٣٨]، الذي كان مشاركًا في الحملة ضد القسطنطينيّة، نصُّها: "كنا في البحر وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فمر بصاحب المقاسم وقد أقاموا السبي ..." (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٣٢، ص ١١٨-١١٩). وهذه الشهادة ذات قيمة كبيرة إذ إنها منسوبة لشخص لم يكن فقط مشاركًا في الأحداث وشاهد عيان عليها، بل تعدُّه مع ذلك بعض كتب علم الرجال من الثقات (العجلي، ١٩٨٤، ص ٢٨٣؛ الدارمي، د. ت، ص ١٤٢؛ ابن حبان، ١٩٧٣، ج ٥، ص ٥١)، كما أن روايته تؤكد أمرين مهمين:

أولهما: مشاركة أبي أيوب الأنصاري في حصار القسطنطينيّة عندما كان عبد الله بن قيس قائدًا للأسطول، وهذا لم يكن إلا سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م كما أوضحنا سابقًا.

وثانيهما: أن أبا أيوب الأنصاري كان خلال هذه الحملة مع قوات المسلمين في البحر، وتحت قيادة عبد الله بن قيس، ولم يكن ضمن حملة برية كما في عمليات سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م.

أما الرواية الثالثة عند أبي زرعة الدمشقي (١٩٩٦)، عن سعيد بن عبد العزيز [٣٩]، الذي ولد أواخر القرن الأول هجري وكان يسكن دمشق، ويعدّ من الثقات (المزي، ١٩٨٣، مج ١٠، ص ٥٣٩-٥٤٢-٥٤٤؛ ابن حجر العسقلاني، د. ت، ج ٢، ص ٣١-٣٢)، فتشير إلى أنّ: "معاوية بن أبي سفيان أغزى ابنه يزيدَ سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م في جماعة من أصحاب الرسول صلّى الله عليه وسلّم في البر والبحر، حتى جاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينيّة على بابها". (ص ٤٢)، ويضيف معلقًا: أنّ هذا الخبر يدلّ على وفاة الصحابي الكبير أبي أيوب الأنصاري في هذه الحملة سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م (وليس قبل ذلك كما تشير بعض الروايات) فدفن عند سور المدينة كما أوصى بذلك (النصري، ١٩٩٦، ص ٤٢). وتؤكد هذه الرواية ما جاءت به الرواية السابقة حول تاريخ مشاركة يزيد في حصار القسطنطينيّة سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، كما يستفاد منها أيضًا أنّ يزيد ابن معاوية، وأبا أيوب الأنصاري، جاءا لحصار القسطنطينيّة على الأرجح في حملة بحرية (وليس كما في المرة الأولى عن طريق البر)، أو أنهم على الأقل قد عبروا إلى القسطنطينيّة بالسفن عبر المضيق،

(٣٧) حمص: من أوسع مدن الشام، تقع على نهر عظيم (البلدان، ٢٠٠٢، ص ١٦٠) في سهل خصب التربة، كثيرة المياه والزرع (ابن حوقل، ١٩٩٢، ص ١٦٢)، وهي في وسط المسافة بين دمشق وحلب (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ٢، ص ٣٠٢) فتحها أبو عبيدة بن الجراح على الصلح سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م (خليفة، ١٩٨٥، ص ١٣٠).

(٣٨) عبد الله بن يزيد، أبو عبد الرحمن الحُبُلّي المصري: روى عن جماعة من كبار الصحابة مثل عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وفضالة بن عبيد، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهم. كان صالحًا ويُعدُّ من الثقات، توفي بإفريقيا سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨-٧١٩م. (المزي، ١٩٩٢، مج ١٦، ص ٣١٦-٣١٧).

(٣٩) سعيد بن عبد العزيز التنوخي: فقيه أهل الشام، ولد سنة ٩٠هـ/ ٧٠٩م، روى عن الزهري ونافع مولى ابن عمر، ومكحول، وغيرهم. تولى الإفتاء في دمشق بعد الأوزاعي، توفي سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣-٧٨٤م (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٢١، ص ١٩٣-١٩٥-٢٠٩) وكان يعد من الثقات (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٩، ص ٤٧٢؛ العجلي، ١٩٨٤، ص ١٨٦؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٢١، ص ٢٠١)

وأنّ يزيدَ قاتل البيزنطيين على أبواب مدينتهم، ومعلوم أنّ أبا أيوب عندما شارك في الحملة على خلقدونيّة مع يزيد بن معاوية سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م مددا للمسلمين هناك، كانا ضمن حملة برية خالصة، ونعلم من خلال إحدى الروايات أن يزيد على الأرجح قد مر في طريقه للغزو عبر مدينة طوانة [٤٠] (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٤٠٥) انطلاقًا من الشام مع فرسان من أنطاكية وبعلبك وغيرهما (البلاذري، ١٩٩٦، ج ٥، ص ٩٤).

ويمكن التأكيد على الروايات السابقة برواية أخرى (رابعة) مرفوعة إلى يحي بن عبد الله بن بكير [٤١]، الذي عاش بين القرنين الثاني والثالث هجري (المزي، ١٩٩٢، مج ٣١، ص ٤٠٣) مفادها أنّ أبا أيوب الأنصاري مات بالقسطنطينيّة في البحر في غزوة يزيد بن معاوية. لكنه يؤرخها بسنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ١٦، ص ٦٤). وإذا تجاوزنا الاختلاف في تحديد تاريخ الحملة، وسنة وفاة أبي أيوب الأنصاري، التي تبقى موضع خلاف بين المصادر كما أشرنا سابقًا، فإنّ الروايتين الأخيرتين تتفقان على طبيعة الحملة التي اشترك فيها الرجلان واستهدفت القسطنطينيّة، وهي حملة بحرية وليست برية.

إنّ تجميع هذه الروايات ودمجها ببعضها يفضي بنا إلى اعتماد الاستنتاج الآتي: أنّ يزيد بن معاوية، وأبا أيوب الأنصاري، شاركا معًا في حملة بحرية ضد القسطنطينيّة، في أسطول كان يقوده عبد الله بن قيس الفزاري، وهي الحملة التي مات فيها أبو أيوب بكل تأكيد ودفن عند أسوار العاصمة البيزنطيّة. وهذه الأحداث بالشخصيات الفاعلة فيها، لا يمكن أن تكون قد حدثت سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م وإنما لاحقًا سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، وسنذكر فيما يأتي من فقرات ما يدعم هذا الطرح. فهل جاء يزيد بن معاوية إذًا في حملة أخرى من أجل استهداف القسطنطينيّة؟

لا يبدو هذا الأمر مستبعدًا تماما، بل ونجد ما يدعم هذا الطرح حتى في بعض المصادر العربية والسريانيّة التي تذكر اسم يزيد في أخبار حملات المسلمين على بلاد الروم مرتين، إحداهما سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م والأخرى سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م (اليعقوبي، ٢٠١٠، ج ٢ ص ١٣٢-١٥٣)، أو سنتي ٥١هـ/ ٦٧١م و٥٧هـ/ ٦٧٧م (Elie, 1910, p 90-91)، وفارق السنوات الكبير بين الحملتين يستبعد احتمال تكرار اسم (يزيد) سهوًا أو وقوع المؤرخين (اليعقوبي وإيليا النصيبي) في خطأ تحديد تاريخ مشاركته لو أنه ذهب في حملة واحدة فقط. كما أنّ السياق التاريخي للأحداث يمكن أن يدعم هذا الاستنتاج، فمعاوية ابن أبي سفيان كان في تلك الفترة يسعى جاهدا لحشد الدعم من أجل البيعة لابنه يزيد بولاية العهد من بعده، وبدأ هذا المسعى منذ سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م عندما دعا أهل الشام لمبايعة يزيد، فأجابوه (خليفة، ١٩٨٥، ص ٢١١)، ثم توجه بعدها إلى الحجاز سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م لتذليل آخر العقبات وتحييد كل معارضة محتملة، خاصة من أبناء كبار الصحابة (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ٣٠١)، وعليه كان إرسال ابنه في حملة عسكرية كبيرة ضد هدف عالي القيمة والرمزية بحجم عاصمة الإمبراطوريّة

(٤٠) طُوانة: بلد من أرض الروم بثغور المصيصة (ياقوت الحموي، ١٩٧٧، مج ٤، ص ٤٥) وهي مدينة ذات أهمية إستراتيجية كبيرة تقع على الطريق الرابط بين الشام والبوسفور وتشرف على مضيق البوابات القيليقية في جبال طوروس من الشمال (فتحي عثمان، د. ت، ج ٢، ص ٨١).

(٤١) يحي بن عبد الله بن بُكير: مولى بني مخزوم، ولد مطلع النصف الثاني من القرن الثاني هجري (١٥٤هـ/ ٧٧١م أو ١٥٥هـ/ ٧٧٢م) وتوفي سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، من أشهر الذين روى عنهم: الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، ومالك بن أنس. عدّه ابن حبان من الثقات، وضعّفه النسائي (المزي، ١٩٩٢، مج ٣١، ص ٤٠١-٤٠٢-٤٠٣).

البيزنطيّة العدو التقليدي للمسلمين (خاصة أنّ حملة خلقدونيّة لم تنته إلى شيء يذكر) من شأنه أن يدعم مركزه كقائد كفء يستطيع القيام بأعباء الدولة من بعده ،كما سيحدّ من المعارضة التي لقاها معاوية في سبيل المبايعة لابنه بولاية العهد، مع ما كان يجده الناس على يزيد من تهاون (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ٣٠٢).

ومع كل ذلك يمكن ملاحظة أنّ الأخبار التي ترويها المصادر عن أحداث وتفاصيل مشاركة يزيد بن معاوية، وشخصيات أخرى فاعلة في الحدث، مثل أبي أيوب الأنصاري، وسفيان بن عوف، وتكرّرها الدراسات الحديثة دون تدقيق أو تمحيص، لا بدّ أنها تخص فترة لاحقة وتمّ استحضارها واسقاطها على فترة سابقة؛ بسبب ارتباك المصادر وعدم دقّتها، فيزيد بن معاوية، لم يذهب في حملة بحرية سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م لتعزيز القوات الإسلامية المتمركزة في خلقدونيّة كما يؤكد عليه زيادة (١٩٩٠، ص ٤٥)، وإنما في حملة بريّة وعلى الأرجح مرورًا بمدينة طُوانة (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٦٥، ص ٤٠٥) كما وضّحنا سابقًا، بعكس مشاركته في الحصار سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م أين توحي الروايات أنه جاء بالفعل عن طريق البحر (النصري، ١٩٩٦، ص ٤٢؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٣٢، ص ١١٩).

وبالمثل نجد أنّ تفاصيل مشاركة سفيان بن عوف، في الحصار وقتال البيزنطيين، التي تجعلها بعض المراجع ضمن أحداث حملة سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م المزعومة على القسطنطينيّة والتي شارك فيها يزيد بن معاوية حسب تصورهم (عثمان، د. ت، ج ٢ ص ٤٤؛ طقوش، ٢٠١٠، ص ٣٣)، إنما قد حدثت فعلا سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م -وليس قبلها- أين قاد سفيان بن عوف حملة الشاتية ذلك العام لدعم قوات المسلمين (المتمركزة في كيزكوس [٤٢] Kyzikos) التي كانت مضطلعة بحصار القسطنطينيّة، حيث تروي الأخبار أنّ هذا القائد اختار مع اعتدال المناخ ثلاثة آلاف فارس، فأغار بهم على الروم حتى بلغ باب الذهب، وقد عانى من المرض وهو في بلاد الروم حتى توفي هناك في منطقة تُدعى الرنداق -أو خازقا بالرومية- (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٢١، ص ٣٥١-٣٥٢)، وهذا الاسم الأخير بالذات "خازق" يبدو واضحًا أنه الصيغة العربية المحرفة لاسم كيزكوس Kyzikos [٤٣]، ويؤكد المؤرخ البيزنطي ثيوفانس (١٩٩٧) بدوره ما أورده ابن عساكر، لكن مع تفاصيل أكثر ونزعة نحو تضخيم عدد القتلى المسلمين في المعركة، والذي يقدره بثلاثين ألف رجل (p 494). أمّا عن شهادة أبي عمران التجيبي حول أساليب المجابهة مع البيزنطيين عند حصار القسطنطينيّة، والتي يؤكد فيها أنها ترجع للحملة التي توفي فيها أبو أيوب الأنصاري، ويؤرخها بسنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م (الحاكم، ٢٠٠٢، ج ٣، ص ٥١٨)، فهي تخص بكل تأكيد الأحداث التي وقعت لاحقًا سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م التي تمثل التاريخ الحقيقي لوفاة هذا الصحابي كما أوضحنا سابقًا.

وعليه فإنه يبدو أنّ المصادر قد اختلطت عليها الأحداث، خاصة أنها لا تتفق على تحديد تاريخ جامع لحملة يزيد بن معاوية على خلقدونيّة، ولا حتى في تاريخ وفاة أبي الأيوب الأنصاري، ونقل المؤرخون المحدثون عنها رأسًا، فنسبوا مجريات الحملة التي شارك فيها يزيد بن معاوية، سنة

(٤٢) كيزكوس Kyzikos: مدينة بيزنطية تقع على الشاطئ الجنوبي لبحر مرمرة، ولها ميناء مهم. استولى عليها المسلمون مؤقتًا واتخذوها كقاعدة لعملياتهم الحربية خلال حصار القسطنطينية (Shepard, 2008, p 233-501).

(٤٣) ما يدعم هذا الطرح أن بعض كتب الجغرافيا الخاصة بالمسلمين تذكر هذه المدينة (تحت اسم الرنداق) ضمن المناطق القريبة من المضيق المؤدي إلى القسطنطينية، فابن خرداذبة (١٨٨٩) يذكرها كنقطة ربط مع موقع أَبِدُوس (هي نفسها أبيدوس Abydos)، على المضيق (ص ١٠٣)، والإدريسي (٢٠٠٢) بشكل أكثر تحديدًا يذكر أنها لا تبعد عن (أبذوس) على فم المضيق إلا بثلاثة عشر ميلًا (مج ٢، ص ٨١١).

٥٥هـ/ ٦٧٥م، للحملة السابقة لها سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م التي لم تصل أبدًا للقسطنطينيّة، وإنما أشرفت على المدينة من البر الأسيوي فقط عند خلقدونيّة التي لا تبعد عنها كثيرًا، ولم تعبر مضيق البوسفور نحو البر الأوربي، كما تريد أن تصوّر بعض المراجع، ويمكن أن نستدلّ في إثبات هذا الطرح بعاملين:

أولًا: سكوت المصادر البيزنطيّة نفسها عن تفاصيل حدث بهذا القدر من الأهمية، حيث يبدو من غير المنطقي تمامًا أنّ هذه المصادر التي نجدها تحرص بشدة على تسجيل حملات المسلمين السنوية على أسيا الصغرى، بما في ذلك الغارات الروتينية العادية في منطقة الحدود البعيدة [٤٤]، لا تهتم في المقابل بتوثيق مجريات أول حملة إسلامية تستهدف العاصمة الإمبراطوريّة بما يحمله هذا الحدث من دلالات ورمزية، أما فيما يخص المصادر العربية، فإن محدودية المعلومات الجغرافية للرواة العرب حول بلاد الروم وخصائصها (زيادة، ١٩٩٠، ص ٤٤) في هذه الفترة المبكرة من الصراع الأموي البيزنطي، بالإضافة إلى الارتباك الذي تبديه في تسجيل تواريخ وأحداث الحملة، يجعلنا نتحفّظ في الأخذ برواياتها دون تفكير.

ثانيا: غياب أي أخبار عن دور فعّال يمكن أن يكون قد قام به الأسطول الإسلامي لدعم الحملة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م سواء في فرض الحصار على الواجهة البحرية للمدينة، أو المساهمة في نقل الجند إلى البر الأوربي عبر المضيق، حتى وإن كانت بعض المصادر تتحدث عن تحركات للأسطول الإسلامي في المياه البيزنطيّة في تلك الفترة (الطبري، ١٩٦٩، ج ٥، ص ٢٣٢) دون أن تحدّد المهمّة التي اضطلع بها ومكان نشاطه بدقّة، كما ستفعل لاحقًا خلال حصار السبع سنوات مثلًا (Theophanes, 1997, p 393-394) أو حتى حصار سنة ٧١٦م/ ٩٨هـ تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك حين تصف نشاط وتحركات الأسطول الإسلامي بتفاصيل ملفتة للانتباه (Theophanes, 1997, p 545-546)، ومع ذلك نجد بعض المراجع تشير -من دون تحفظ- إلى أنّ المسلمين عبروا مضيق البوسفور من خلقدونيّة إلى الشاطئ الأوربي (العدوي، ١٩٥٣، ص ١٥٦؛ بروكلمان، ١٩٦٨، ص ١٢٦)، لكنها لا توضّح أبدًا كيف استطاع المسلمون اجتياز المضيق من دون دعم سفن ترافق تحركاتهم، في حين تؤكّد مراجع أخرى على قيام الأسطول بنقل الجند عبر المضيق للضفة الأوربية (رمضان، د. ت، ص ٩٨؛ بركات، ١٩٩٥، ص ٥٧)، بل والذهاب إلى حدّ تأكيد وصوله إلى مضائق الدردنيل، وانزاله المقاتلين العرب في البر الأوربي على بعد سبعة أميال من القسطنطينيّة، ومن ثمّ الزحف لمهاجمة المدينة (جلوب، د. ت، ص ٥٢٨). ولا ندري من أين جاءت بكل هذه التفاصيل الدقيقة، إذ ليس هناك ما يدعمها في المصادر العربية أو حتى الأجنبية. ويذكر سعيد عمران (٢٠٠٠) بدوره أن معاوية جهّز سنة ٤٨هـ/٦٦٨م جيشًا لفتح القسطنطينيّة من البر والبحر، وأنّ الأسطول الإسلامي المشارك في العمليات الحربية قد جعل من مدينة كيزكوس مقرًا له (ص ٨١). لكن هذا الأمر لم يحدث في الحقيقة إلا سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م (Venning, 2006, p 177) مع بداية حصار السبع سنوات وليس قبل ذلك. وعلى هذا الأساس يذهب الكثير من الدارسين إلى أنّ عمليات سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م كانت حملة برية خالصة على كل حال (Partington, 1999, p 13).

وبجانب غياب دليل قاطع على مشاركة الأسطول الإسلامي في دعم عمليات المسلمين البريّة خلال هذه الحملة

(٤٤) نجد مثلا حولية ثيوفانس المعرّف تذكر في أخبارها حملات المسلمين على بلاد الروم كل سنة، بأسماء قادتها ونتائجها وفي بعض الأحيان حتى مناطق نشاطها، وتنفرد في بعض الحالات بتفاصيل لا تأتي حتى المصادر الإسلامية على ذكرها.

(سنتي ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٩-٦٧٠م)، نسجّل نجاح الأسطول البيزنطي في شن عمليات تخريبية ضد السواحل الشامية سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م (البلاذري، ١٩٩٢، ص ١٣٧) ما يطرح تساؤلات جدّية عن حقيقة دور مفترض للأسطول الإسلامي في الحملة المزعومة ضد القسطنطينيّة، بالتزامن مع ذلك؟ وكيف استطاعت البحرية البيزنطيّة تجاوز هذا الأسطول الذي يُزعم أنه كان ينشط في بحر مرمرة حينها، والوصول إلى السواحل الشامية دون ملاحظته أو اعتراضه؟

إنّ عدم وصول الجيش الإسلامي إلى القسطنطينيّة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م يجعل من فكرة محاولة الاستيلاء عليها ووضعها كهدف للحملة منذ البداية أمرًا مستبعدًا، والأقرب إلى الواقع أن هذه الحملة بقيادة فضالة بن عبيد، ومشاركة سفيان بن عوف، ويزيد بن معاوية، تحكّمت فيها التطورات الميدانية والمتغيّرات التي حصلت بالتزامن مع عمليات المسلمين، فأفضت بها إلى خلقدونيّة، فبعدما توغلت قوات المسلمين في أسيا الصغرى بقيادة فضالة لدعم التمرد هناك، اتصل هذا الأخير بخبر وفاة قائد الثورة سابور، وبزوال التحالف الذي جمع المسلمين بالمتمردين وتوحد صفوف البيزنطيين من جديد، اضطر القائد المسلم إلى طلب التعزيزات من معاوية بن أبي سفيان لمواجهة التطورات الجديدة، وعلى ضوء الأخبار التي جاءت بموت الإمبراطور في صقلية وغياب ابنه وولي عهده قسطنطين عن العاصمة، لاحت فرصة أمام الخليفة الذي كان قد لمس ضعف الإمكانيات العسكرية وانخفاض الروح القتالية للقوات البيزنطيّة في أسيا الصغرى خلال السنوات السابقة، فقرر دعم الجيش الذي كان يقوده فضالة؛ من أجل اختبار جاهزية البيزنطيين الدفاعية في المناطق القريبة من القسطنطينيّة، واستكشاف الطرق المؤدية إليها، كنوع من جسّ النبض، وهو ما يؤكد عليه بعض الباحثين الذين يرون أنّ المقصود من الغارة على خلقدونيّة هو اختبار قوة ومراكز الدفاع في الجهات المحيطة بالعاصمة (أرشيبالد، د. ت، ص ٩٦؛ العريني، د. ت، ص ١٤٩)، لتحضير مشروع لاحق أكثر جدية، سيتم تنفيذه بعد ذلك بسنوات قليلة من خلال زيادة نشاط البحرية الإسلامية واستهداف أهم الجزر المتحكمة في الطرق البحرية نحو القسطنطينيّة والاستيلاء عليها (البلاذري، ١٩٩٢، ص ٢٧٤؛ ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٥٦، ص ٤٧٢) والتحضير الجيد لمشروع بمثل هذه الأهمية.

ولكن مع ذلك، كانت هذه الحملة ضرورية لاكتساب الخبرة اللازمة والتدريب الميداني الحقيقي لمخطط فتح العاصمة البيزنطيّة، من خلال التعرف على تحصينات المدينة وإمكانياتها الدفاعية، وطبيعة المنطقة المحيطة بها، بالإضافة إلى تقدير القوات والمعدّات اللازمة لاختراق هذه التحصينات (عمر يحي، ٢٠٠٩، ص ١٨٨)، وقد أدرك المسلمون بفضل هذه التجربة أيضًا أهمية الأسطول البحري في العمليات الحربية مستقبلًا ضد القسطنطينيّة (أبو زيد، ١٩٩٦، ص ٢٤).

خاتمة:

شهدت سنتا ٤٩-٥٠هـ/ ٦٦٩-٦٧٠م نشاطًا عسكريًّا إسلاميًّا كبيرًا في أسيا الصغرى، حيث عملت الدولة الأموية على استغلال الأوضاع الحرجة التي كانت تمر بها الإمبراطوريّة البيزنطيّة؛ من أجل زيادة الضغط عليها، والظروف كانت في الحقيقة مواتية ومهيأة لاختبار المسلمين مشروع فتح القسطنطينيّة على أساس ما هو متوفر من معطيات عسكرية وسياسية على أرض الواقع، لكن مراجعة الروايات المتعلقة بالحدث وتحليلها والتدقيق فيها، أوصلتنا إلى استنتاج مُقْنع أنّ حملة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري، ومشاركة يزيد بن معاوية، وأبي أيوب الأنصاري، لم تصل إلى القسطنطينيّة، كما لم تكن المدينة هدفها منذ البداية، بل توجهّت إلى خلقدونيّة في الجهة المقابلة

للعاصمة من البر الأسيوي، ومنها عادت أدراجها إلى بلاد الشام مرورًا بعمورية، بعد فترة نشاط دامت عدة أشهر تخللها الكثيرُ من الصعوبات والتحدّيات. كما تبيّن لنا بعد التحليل الموضوعي للأحداث أنّ يزيد بن معاوية شارك فعلًا في حصار العاصمة البيزنطيّة، ولكن ليس سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م كما تشير إلى ذلك بعض المصادر والمراجع الحديثة، وإنما سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م خلال مجريات حصار السبع سنوات (بين ٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٤-٦٨٠م) ما أوقع الدارسين في الخطأ فنسبوا هذه المشاركة المتأخرة إلى الحملة السابقة على خلقدونيّة، وقاموا بإسقاط أحداثها وتفاصيلها على فترة سابقة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر والمراجع العربية

إبراهيم العدوي، أحمد. (د. ت). *الأمويون والبيزنطيون، البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية*، مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن الأثير، عز الدين. (١٩٨٧). الكامل في التاريخ. (ط ١). تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. (١٩٩٢). *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. (ط ١). دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تغري بردي، جمال الدين. (١٩٩٢). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. (ط ١). تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي. (د. ت). *تهذيب التهذيب*. عنى به إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي. (١٩٩٢). *صورة الأرض*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله. (١٨٨٩). *المسالك والممالك*. ليدن: مطبعة بريل.

ابن خياط العصفري، خليفة. (١٩٨٥). *تاريخ خليفة*. (ط ٢). تحقيق أكرم ضياء العمري. الرياض: دار طيبة.

ابن عساكر، علي بن الحسن. (١٩٩٥ـ). *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها*. دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن كثير، عماد الدين. (١٩٩٨). *البداية والنهاية*. (ط ١). تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان.

أبو زيد، عُلا عبد العزيز. (١٩٩٦). *الدولة الأموية دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م*. (ط ١). القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الإدريسي، محمد بن محمد. (٢٠٠٢). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

أديب، السيد. (١٩٧٢). *ارمينية في التاريخ العربي*. (ط ١). حلب: المطبعة الحديثة.

أرشيبالد، لويس. (د. ت). *القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠م*، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال. القاهرة: مكتبة النهضة العربية.

بركات، وفيق. (١٩٩٥). *فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي*. منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي.

بروكلمان، كارل. (١٩٦٨). *تاريخ الشعوب الإسلامية*. (ط ٥). تعريب نبيه أمين فارس، ومنير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين.

البستي، محمد بن حبان. (١٩٧٣). *الثقات*. (ط ١). اشراف محمد عبد المعيد خان. حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. (٢٠٠٣). المسالك والممالك. (ط ١). تحقيق جمال طلبة. بيروت: دار الكتب العلمية.

البلاذري، أحمد بن يحي. (١٩٩٢). *البلدان وفتوحها وأحكامها*. (ط ١). تحقيق سهيل زكار. بيروت: دار الفكر.

البلاذري، أحمد بن يحي. (١٩٩٦). *أنساب الأشراف*. (ط ١). تحقيق وتقديم سهيل زكار، ورياض زركلي. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

جلوب، جون باجوت. (د. ت). *الفتوحات العربية الكبرى*، تعريب وتعليق خيري حمّاد. مصر: الدار القومية للطباعة والنشر.

الحاكم، محمد بن عبد الله. (٢٠٠٢). *المستدرك على الصحيحين*. (ط ٢). دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

حسنين محمد، ربيع. (١٩٨٣). *دراسات في تاريخ الدولة البيزنطيّة*. القاهرة: دار النهضة العربية.

الدارمي، عثمان بن سعيد. (د. ت). *تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي*. تحقيق أحمد محمد نورسيف. دمشق: دار المأمون للتراث.

الذهبي، شمس الدين. (١٩٨٩). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. (ط ١). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي.

الذهبي، شمس الدين. (١٩٩٦). سير أعلام النبلاء. (ط ١١). تحقيق شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

رستم، أسد. (٢٠١٨). *الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

رمضان، عبد العظيم. (د. ت). *الصراع بين العرب وأوربا: من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية*. القاهرة: دار المعارف.

زعرور، إبراهيم. وعلي، أحمد. (١٩٩٥-١٩٩٦). *تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري*. منشورات جامعة دمشق.

الزهري، محمد بن سعد. (٢٠٠١). *كتاب الطبقات الكبير*. (ط ١). تحقيق علي محمد عمر. الجيزة: الشركة الدولية للطباعة.

زيادة، نقولا. (١٩٩٠). *الأسطول العربي في أيام الأمويين، بلاد الشام في العصر الأموي: بحوث في تاريخ بلاد الشام*. عمان: الجامعة الأردنية.

سعيد عمران، محمود. (٢٠٠٠). *معالم تاريخ الإمبراطوريّة البيزنطيّة (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحرب)*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

صالح العلي، أحمد. (د. ت). *الفتوحات الإسلامية*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

الطبري، محمد بن جرير. (١٩٦٩). *تاريخ الرسل والملوك*. (ط ٢). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف.

طقوش، محمد سهيل. (٢٠١٠). *تاريخ الدولة الأموية*. (ط ٧). بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

عثمان، فتحي. (د. ت). *الحدود الإسلامية البيزنطيّة بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

العجلي، أحمد بن عبد الله. (١٩٨٤). *تاريخ الثقات*. (ط ١). تحقيق عبد المعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية.

عمر يحي، محمد. (٢٠٠٩). *البيزنطيون والعرب (٦٤١-٧١١م/ ٢٠-٩٣هـ)*. (ط ١). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

القرماني، أحمد بن يوسف. (١٩٩٢). *أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ*. (ط ١). دراسة وتحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد. بيروت: عالم الكتب.

المزي، جمال الدين. (١٩٨٣-١٩٩٢). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. (٢). تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة.

المسعودي، علي بن الحسين. (٢٠٠٥). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. (ط ١). اعتنى به وراجعه حسن مرعي. صيدا- بيروت: المكتبة العصرية.

منصور، طارق. (٢٠٠٨). *المسلمون ودولة الروم*. القاهرة: دار الفكر العربي.

النصري، عبد الرحمن بن عمرو. (١٩٩٦). *تاريخ أبي زرعة الدمشقي*. (ط ١). وضع حواشيه خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية.

النويري، شهاب الدين. (٢٠٠٤). *نهاية الأرب في فنون الأدب*. (ط ١). تحقيق عماد علي حمزة. بيروت: دار الكتب العلمية.

ياقوت الحموي، شهاب الدين. (١٩٧٧). *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (٢٠٠٢). *البلدان*. (ط ١). وضع حواشيه محمد أمين ضناوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (٢٠١٠). *تاريخ اليعقوبي*. (ط ١). تحقيق عبد الأمير مهنا. بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات.

ثانيا: المراجع الأجنبية

Abū Zayd, ʻulā ʻAbd al-ʻAzīz. (1996). *al-dawlah al-Umawīyah Dawlat al-Futūḥāt 41-132 H / 661-750 G* [in Arabic]. (ED. 1). al-Qāhirah: al-Maʻhad al-ʻĀlamī lil-Fikr al-Islāmī.

Adīb, al-Sayyid. (1972*). Armīnīyah fī al-tārīkh al-ʻArabī* [in Arabic]. (ED. 1). Ḥalab: al-Maṭbaʻah al-ḥadīthah.

Agapius de Menbidj. (1909). *Histoire Universelle*. Edite et traduite en français par Alexandre Vasiliev. Paris.

al-Bakrī, Abū ʻUbayd ʻAbd Allāh ibn ʻAbd al-ʻAzīz. (2003). al-masālik wa-al-mamālik [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: Jamāl ṭalabat). Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Balādhurī, Aḥmad ibn Yaḥyá. (1992). *al-buldān wa futūḥuhā wa-aḥkāmuhā* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: Suhayl Zakkār). Bayrūt: Dār al-Fikr.

al-Balādhurī, Aḥmad ibn Yaḥyá. (1996). *ansāb al-ashrāf* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: Suhayl Zakkār & Riyāḍ Ziriklī). Bayrūt: Dār al-Fikr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

al-Bustī, Muḥammad ibn Ḥibbān. (1973). *al-thiqāt* [in Arabic]. (ED. 1). (Supervisor: Muḥammad ʻAbd al-muʻīd Khān). Ḥaydar Abād: Dāʼirat al-Maʻārif al-ʻUthmānīyah.

al-Dārimī, ʻUthmān ibn Saʻīd. (N. D.). *Tārīkh ʻUthmān ibn Saʻīd al-Dārimī* [in Arabic]. (Codicologist: Aḥmad Muḥammad Nur Sayf). Dimashq: Dār al-Maʼmūn lil-Turāth.

al-Dhahabī, Shams al-Dīn. (1989). *Tārīkh al-Islām wa-wafayāt al-mashāhīr wa-al-aʻlām* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: ʻUmar ʻAbd al-Salām Tadmurī). Bayrūt: Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

al-Dhahabī, Shams al-Dīn. (1996). *Siyar Aʻlām al-nubalāʼ* [in Arabic]. (ED. 11). (Codicologist: Shuʻayb al-Arnaʼūṭ). Bayrūt: Muʼassasat al-Risālah.

al-Ḥākim, Muḥammad ibn ʻAbd Allāh. (2002). *al-Mustadrak ʻalá al-ṣaḥīḥayn* [in Arabic]. (ED. 2). (Codicologist: Muṣṭafá ʻAbd al-Qādir ʻAṭā). Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Idrīsī, Muḥammad ibn Muḥammad. (2002). *Nuzhat al-mushtāq fī ikhtirāq al-Āfāq* [in Arabic]. al-Qāhirah: Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah.

al-ʻijlī, Aḥmad ibn ʻAbd Allāh. (1984). *Tārīkh al-thiqāt* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: ʻAbd al-Muʻṭī qalʻajī). Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Masʻūdī, ʻAlī ibn al-Ḥusayn. (2005). *Murūj al-dhahab wa-maʻādin al-jawhar* [in Arabic]. (ED. 1). (Reviewer: Ḥasan Marʻī). Sydā- Bayrūt: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah.

al-Mizzī, Jamāl al-Dīn. (1983-1992). *Tahdhīb al-kamāl fī Asmāʼ al-rijāl* [in Arabic]. (ED. 2). (Codicologist: Bashshār ʻAwwād Maʻrūf). Bayrūt: Muʼassasat al-Risālah.

al-Naṣrī, ʻAbd al-Raḥmān ibn ʻAmr. (1996). *Tārīkh Abī Zarʻah al-Dimashqī* [in Arabic]. (ED. 1). (Scholiast: Khalīl al-Manṣūr). Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Nuwayrī, Shihāb al-Dīn. (2004). *nihāyat al-arab fī Funūn al-adab* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: ʻImād ʻAlī Ḥamzah). Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Qaramānī, Aḥmad ibn Yūsuf. (1992). *Akhbār al-Duwal wa-āthār al-Awwal fī al-tārīkh* [in

‘Amrawī). Bayrūt: Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

Ibn Ḥajar, Aḥmad ibn ‘Alī. (N. D.). *Tahdhīb al-Tahdhīb* [in Arabic]. (Codicologists: Ibrāhīm al-Zaybaq & ‘Ādil Murshid). Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah.

Ibn Ḥawqal, Abū al-Qāsim Muḥammad ibn ‘Alī. (1992). *Ṣūrat al-arḍ*. Bayrūt: Dār Maktabat al-ḥayāh.

Ibn Kathīr, ‘Imād al-Dīn. (1998). *al-Bidāyah wa-al-nihāyah* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī), Miṣr: Dār Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-I‘lān.

Ibn Khayyāṭ al‘uṣfurī, Khalīfah. (1985). *Tārīkh Khalīfah* [in Arabic]. (ED. 2). (Codicologist: Akram Ḍiyā’ al-‘Umarī). al-Riyāḍ: Dār Ṭaybah.

Ibn khurdādhbah, ‘Ubayd Allāh ibn ‘Abd Allāh. (1889). *al-masālik wa-al-mamālik* [in Arabic]. Līdin: Maṭba‘at Brīl.

Ibn taghrī Bardī, Jamāl al-Dīn. (1992). *al-nujūm al-Zāhirah fī mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah* [in Arabic]. (ED. 1). (Commentator: Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn). Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Ibrāhīm al-‘Adawī, Aḥmad. (N. D.). *al-Umawīyyūn wa-al-Bīzanṭīyyūn, al-Baḥr al-Abyaḍ al-Mutawassiṭ Buḥayrah Islāmīyyah* [in Arabic]. Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah.

Kaegi, Walter Emil. (1981). *Byzantine Military Unrest 471-843*. Amsterdam: Adolf M. Hakkert Publisher.

Lewis, Archibald Ross. (N. D.). *al-quwá al-baḥrīyah wa-al-tijārīyah fī al-Baḥr al-Mutawassiṭ 500-1100 G* [in Arabic]. (Translators: Aḥmad Muḥammad ‘Īsá, Reviewer: Muḥammad Shafīq ghirbāl). al-Qāhirah: Maktabat al-Nahḍah al-‘Arabīyah.

Manṣūr, Ṭāriq. (2008). *al-Muslimūn wa-dawlat al-Rūm* [in Arabic]. al-Qāhirah: Dār al-Fikr al-‘Arabī.

Michel le syrien. (1901). *Chronique de Michel le Syrien*, Traduite par J. B. Chabot, Paris.

Nikephoros. (1990). Short History, Translation and Commentary by Cyrill Mango. Washington D.C: Dumbarton Oaks.

Ostrogorsky, George. (1968). *History of the Byzantine State*, Translated by Joan Hussey, Basil Blackwell. Oxford.

Partington, J. R. (1999). *A History of Greek Fire and Gunpowder*. Baltimore: The johns Hopkins University Press, Baltimore.

Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: Aḥmad Ḥuṭayṭ & fahmī Sa‘d). Bayrūt: ‘Ālam al-Kutub.

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. (1969). *Tārīkh al-Rusul wa-al-mulūk* [in Arabic]. (ED. 2). (Codicologist: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm). Miṣr: Dār al-Ma‘ārif.

al-Ya‘qūbī, Aḥmad ibn Abī Ya‘qūb. (2002). *al-buldān* [in Arabic]. (ED. 1). (Scholiast: Muḥammad Amīn Ḍinnāwī). Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

al-Ya‘qūbī, Aḥmad ibn Abī Ya‘qūb. (2010). *Tārīkh al-Ya‘qūbī* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: ‘Abd al-Amīr Muhannā). Bayrūt: Sharikat al-A‘lamī lil-Maṭbū‘āt.

al-Zahrī, Muḥammad ibn Sa‘d. (2001). *Kitāb al-Ṭabaqāt al-kabīr* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: ‘Alī Muḥammad ‘Umar). al-Jīzah: al-Sharikah al-Dawlīyah lil-Ṭibā‘ah.

Barakāt, Wafīq. (1995). *Fann al-ḥarb al-baḥrīyah fī al-tārīkh al-‘Arabī al-Islāmī* [in Arabic]. Manshūrāt Jāmi‘at Ḥalab- Ma‘had al-Turāth al-‘Ilmī al-‘Arabī.

Brockelman, Carl. (1968). *Tārīkh al-shu‘ūb al-Islāmīyah* [in Arabic]. (ED. 5). (Translators: Nabīh Amīn Fāris & Munīr Ba‘labakkī). Bayrūt: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn.

Cheira, M. A. (1947). *La lutte entre Arabes et Byzantins, La conquête et l’organisation des frontières aux 7 et 8 siècles*. Alexandrie: Société de publications égyptiennes.

Elie Bar Sinaya. (1910). *Chronographie de Mar Elie Bar Sinaya*. Traduite par L. J. Delaporte. Paris.

Glubb, John Bagot. (N. D.). *al-Futūḥāt al-‘Arabīyah al-Kubrá* [in Arabic]. (Translator & commentator: Khayrī Ḥammād). Miṣr: al-Dār al-Qawmīyah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

Ḥasanayn Muḥammad, Rabī‘. (1983). *Dirāsāt fī Tārīkh al-dawlah al-Bīzanṭīyah* [in Arabic]. al-Qāhirah: Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah.

Ibn al-Athīr, ‘Izz al-Dīn. (1987). *al-kāmil fī al-tārīkh* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologist: Abī al-Fidā’ ‘Abd Allāh al-Qāḍī). Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Ibn al-Jawzī, Abū al-Faraj ‘Abd al-Raḥmān. (1992). *al-muntaẓim fī Tārīkh al-mulūk wa-al-umam* [in Arabic]. (ED. 1). (Codicologists: Muḥammad ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā, Muṣṭafá ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā, Reveiwer: Na‘īm Zarzūr). Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Ibn ‘Asākir, ‘Alī ibn al-Ḥasan. (1995). *Tārīkh Madīnat Dimashq wa-dhikr faḍlihā wa-tasmiyat man ḥallahā min al-amāthil Aaw ijtāza bi-nawāḥīhā min wāridīhā wa-ahlihā* [in Arabic]. (Codicologist: ‘Umar ibn Gharāmah al-

Petersen, Leif Inge Ree. (2013). Siege Warfare and Military Organization in the Succesor States (400-800 AD). Leiden-Boston : Brill.

Ramaḍān, ʻAbd al-ʻAẓīm. (N. D.). *al-ṣirāʻ bayna al-ʻArab wa-Ūrubbā: min ẓuhūr al-Islām ilá intihāʼ al-ḥurūb al-Ṣalībīyah* [in Arabic]. al-Qāhirah: Dār al-Maʻārif.

Ramsay, William Mitchell. (1890). The Historical Geography of Asia Minor. London : Printed by William Clowes and Sons.

Rustum, Asad. (2018). *al-Rūm fī siyāsatihim, waḥaḍāratihim, wa-dīnihum, wa-thaqāfatihim, waṣilātihum bi-al-ʻArab* [in Arabic]. al-Mamlakah al-Muttaḥidah: Muʼassasat Hindāwī.

Saʻīd ʻUmrān, Maḥmūd. (2000). *Maʻālim Tārīkh al-imbrāṭūrīyah al-Bīzanṭīyyah: madkhal li-Dirāsat al-tārīkh al-siyāsī wa-al-ḥarb* [in Arabic]. al-Iskandarīyah: Dār al-Maʻrifah al-Jāmiʻīyah.

Ṣāliḥ al-ʻAlī, Aḥmad. (N. D.). *al-Futūḥāt al-Islāmīyah* [in Arabic]. Bayrūt: Sharikat al-Maṭbūʻāt lil-Tawzīʻ wa-al-Nashr.

Shepard, Jonathan. (2008). *The Cambridge History of the Byzantine Empire c. 500-1492*. New York : Cambridge University Press.

Ṭaqūsh, Muḥammad Suhayl. (2010). *Tārīkh al-dawlah al-Umawīyah* [in Arabic]. (ED. 7). Bayrūt: Dār al-Nafāʼis lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

Theophanes. (1997). *The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*, Translated with introduction and commentary by Cyrill Mango and Roger Scott. Oxford : Clarendon Press.

Treadgold, Warren. (1997). *A History of Byzantine State and Society*. California : Stanford University Press.

ʻUmar Yaḥyá, Muḥammad. (2009). *Al-Bīzanṭiyyūn wa-al-ʻArab (641-711 G/ 20-93 H)* [in Arabic]. (ED. 1). al-Qāhirah: al-Majlis al-Aʻlá lil-Thaqāfah.

ʻUthmān, Fatḥī. (N. D.). *al-ḥudūd al-Islāmīyah al-Bīzanṭīyyah bayna al-Iḥtikāk al-Ḥarbī wa-al-Ittiṣāl al-ḥaḍārī* [in Arabic]. al-Qāhirah: al-Dār al-Qawmīyah lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr.

Venning, Timothy. (2006). *A Chronology of the Bizantine Empire*. New York : Palgrave Macmillan.

Yāqūt al-Ḥamawī, Shihāb al-Dīn. (1977). *Muʻjam al-buldān* [in Arabic]. Bayrūt: Dār Ṣādir.

Zaʻrūr, Ibrāhīm. & ʻAlī, Aḥmad. (1995-1996). *Tārīkh al-ʻaṣr al-Umawī al-siyāsī wa-al-ḥaḍārī* [in Arabic]. Manshūrāt Jāmiʻat Dimashq.

Ziadeh, Nicola. (1990). *al'sṭwl al-ʻArabī fī Ayyām al-Umawīyīn, bilād al-Shām fī al-ʻaṣr al-Umawī: Buḥūth fī Tārīkh bilād al-Shām* [in Arabic]. ʻAmmān: al-Jāmiʻah al-Urdunīyah.